كمال الاستجلاء الإلهيِّ بالإنسان الكامل
تأصيل المفهوم في ضوء الوحي ومدرسة ابن عربي

محمّد مهدي گرجيان
عضو الهيئة العلمية بجامعة باقر العلوم- إيران

صدّيقه محمّدى
باحثة دكتوراه- جامعة باقر العلوم

ملخص إجمالي:

«الجلاء» و«الاستجلاء» مصطلحان عرفانيَّان يُراد بهما التعرُّف على نظام عالم الوجود، ويشتملان على كلِّ التَّعيُّنات الحقَّانيَّة والخلقيَّة. فـ«الجلاء» هو ظهور وتجلّي ذات الله تعالى لذاته وفي ذاته، و«الاستجلاء» هو ظهور وتجلّي ذات الحقِّ لذاته وفي تعيُّناته الخلقيَّة.

يحاول هذا المقال، ومن خلال المنهج الوصفيِّ- التحليليِّ إجراء دراسة مقارنة في علاقة الجلاء والاستجلاء الإلهيِّ بالإنسان الكامل من وجهة نظر الوحي ومدرسة ابن عربي. وسيتَّضح أنَّ المراد النهائيَّ للحقِّ تعالى من إيجاد المجالي والمظاهر، هو رؤية كمالاته في مظهر ومرآة مغايرة. وهنا، يمكن الحديث عن الخصائص التي يجب أن يتحلَّى بها الإنسان ليظهر بوساطته سرُّ الحقِّ للحقّ.

إذًا، بوساطة الإنسان يتحقّق كمالَ الاستجلاء، ولكن يبقى السؤال حاضراً: هل هذه المرتبة هي بالقوَّة بالنسبة إليه؟ أم أنه المظهر الفعليُّ هو "الإنسان الكامل" الذي وصلت استعداداته إلى فعليَّاتها؟ لقد تحدَّث الوحي حول مفهومَي الجلاء والاستجلاء؛ إذ تضمّنت النصوص العرفانيّة العديد من الآيات والروايات في هذا الخصوص، حيث تتبيَّن من خلالها العلاقة الوثيقة بين العرفان والوحي، وصولاً إلى إثبات رجوع جذور العرفان إلى الوحي.

نشير إلى أن هذا البحث الأكاديمي تم تحت إشراف العلامة البروفسور يد الله يزدان بناه أستاذ الفلسفة والعرفان النظري في الحوزة العلمية في قم.

* * *

مفردات مفتاحيَّة: الجلاء، الاستجلاء، كمال الجلاء والاستجلاء، الإنسان الكامل، مدرسة الوحي، ابن عربي.

علوم المبدأ LLMOLMABDAA
العدد السابع - 1445هـ - خريف 2023م

تمهيد:

المقصود من مصطلحَي "الجلاء" و"الاستجلاء" هو فهم نظام عالم الوجود. وإذا كتان لكليهما موقعٌ ومكانة في العرفان النظريِّ[1]، فلكلٍّ منهما استخدامات عديدة في الآيات القرآنيَّة[2] والروايات[3]. وقد لجأ أهل المعرفة إلى الآيات والروايَّات في توضيحهما[4].

جاء ذكر التجلّي في اصطلاح العرفاء المسلمين على معنيَين: "محوريَّة الإنسان" و"محوريَّة الكون":

المعنى الأوَّل؛ عبارة عن ظهور ذات وصفات وأفعال الحقِّ تعالى في ضمير السالك[5].

المعنى الثّاني؛ عبارة عن عالم الوجود، والتجلّي وظهور الحقّ لذاته[6].

لهذا تحوَّلت نظريَّة الجلاء والتجلّي مع أبعادها السلوكيَّة في مدرسة ابن عربي إلى نظريَّة وجوديَّة.

هذا المقال يسعى لدراسة الأبعاد الوجوديَّة للنظريَّة، والتي على أساسها يتحقَّق الهدف من الخلق، ومن كمال الجلاء والاستجلاء مع الإنسان والتعيُّن الإنسانيِّ[7].

1 - المباني الوجوديَّة:

لا بدَّ من القول أنَّ التوضيح الدقيق لنظريَّة كمال الجلاء والاستجلاء الإلهيِّ وارتباطه بالإنسان الكامل بحاجة إلى مبانٍ وجوديَّة خاصَّة. لذلك؛ سنذكر بعض هذه المباني ذات الصلة الوثيقة بالموضوع.

1--1 وحدة الوجود وكثرة الظهور:

لعلَّ أهمَّ قضيَّة في نظريَّة الوجود العرفانيَّة هي الرؤية الخاصَّة للحقِّ. وانطلاقًا من نظريَّة وحدة الوجود الشخصيَّة، فإنَّ المصداق الحقيقيَّ لمفهوم الوجود والموجود ليس سوى الحقِّ تعالى[8]. ولأنَّ وجود الحقِّ لا نهاية له، فهو يتضمَّن كامل الوجود والواقع. والكثرات الموجودة في العالم، هي مظاهر وشؤون وتجلّيات الحقِّ تعالى. والكثرات المشهودة هي كثرة النسب والأحكام[9]؛ أي أنَّ

[1]- اصطلاحات الصوفيّة، ص19؛ مصباح الأنس، ص670-671؛ نقد النصوص في شرح نقش الفصوص، ص41.
[2]- سورة الأعراف، الآية 143؛ سورة الأعراف، الآية 3؛ سورة الحشر، الآية 3؛ سورة الشمس، الآية 2؛ سورة الليل، الآية 2.
[3]- نهج البلاغة، خ108؛ الكافي، ج8، ص387؛ المحاسن، ج2، ص324.
[4]- شرح فصوص الحكم، ص157.
[5]- اصطلاحات الصوفيّة، ص230؛ مجموعة رسائل ابن عربي، ج1، ص561.
[6]- اصطلاحات الصوفيّة، ص19؛ مصباح الأنس، ص670-671، نقد النصوص في شرح نقش الفصوص، ص41.
[7]- شرح فصوص الحكم، مؤيّد الدين الجندي، ص157.
[8]- الفتوحات المكيّة، ج8، ص49؛ ج2، ص313؛ ج3، ص101، 103، 567.
[9]- المصدر نفسه، ج3، ص527.

الإضافة الإشراقيَّة والكثرات هي ظلُّ ذاك الوجود الواحد. وإذا كانت هذه الكثرات تعبرِّ عن حقيقة مقبولة، فهي لا تستلزم قبول حقيقة وصف الوجود عند إطلاقه عليها؛ وإنما يطلق الوجود على الكثرات الشأنيَّة من باب المجاز والعرض[1]. كما أنَّ مصداق الوجود بالذات يحمل صفة خاصَّة باسم "الإطلاق" و"عدم التناهي" التي تمنع الاتِّصاف الحقيقيَّ لأيِّ أمر آخر بصفة الوجود[2].

وقد أشار ابن عربي في آثاره وبشكل واضح إلى مسألة وحدة الوجود[3]، ثمَّ عمد تلامذته وشارحوه إلى بسط الكلام حول هذه النظريَّة[4]، مع التذكير بأنَّه لا يلزم من هذه النظريَّة نفي الكثرات الإمكانيَّة.

المسألة المهمَّة هنا، هي التَّمييز بين "المعدوم المحض" و"مصداق الوجود بالعرض". ووجود الكثرات الخلقيَّة في العرفان النظريِّ، هو وجود "بالعرض والمجاز". وهذه الكثرات الخلقيَّة موجودة بالحيثيَّة التقييديَّة الشأنيَّة للحقِّ، كما أنَّ كثرة الأسماء والصفات موجودة بالحيثيَّة التقييديَّة الاندماجيَّة[5]. ويجري الحديث في العرفان النظريِّ عن نظام التجليّ؛ لتبيين وتحليل الكثرات.

1--2 مظاهر وتجلّيات الحقّ:

حريٌّ القول أنَّ "نظام التجلّيات" في الرؤية العرفانيّة هو أساسٌ لفهم وتوضيح وحدة الوجود، ويُعتمد عليه في التحليل الصحيح للكثرات الموجودة في العالم، وكيفيَّة إيجاد الموجودات من المبدأ الأوّل وربط الواحد بالكثير. والمقصود من التجلّي خروج المطلق من مقام إطلاقه وتلبُّسه بالتقيُّد والتعينُّ. وهذا التجلّي الإلهيُّ؛ أي الفيض الإلهيَّ الدائم، هو سبب إيجاد ما سوى الله، وهو مستمرٌّ من الأزل إلى الأبد؛ حيث يظهر في كلِّ مظهر بصورة من صوره اللَّامتناهية[6].

يقول ابن تركه إنَّ "الاختلاف بمعنى التكثُّر يُتوهَّم في مراتب تنزُّلاته ومجالي ظهوراته بحسب شؤونه الذاتيَّة وأحواله"[7]، فأسند الكثرة والاختلاف إلى مراتب التنزُّلات ومجاليَ الظهورات. لذلك؛ وطبق هذه الرؤية، ففي غيب الهُويَّة المعبرَّ عنها بالإطلاق الذاتيِّ واللَّاتعينُّ، لا يمكن الحديث عن أيِّ اسم من الأسماء؛ بل تلك الذات هي مجمع الأضداد ومحلُّ أنس وحضور جميع المراحل[8]. من أجل ذلك يعتقد العرفاء أنَّ كلَّ تجلٍّ وظهور هو اسم من الأسماء الإلهيَّة.

---

[1]- نقد النقود في معرفة الوجود (جامع الأسرار)، ص659.

[2]- مبادئ وأصول العرفان النظريّ، ص161.

[3]- الفتوحات المكيّة، ج8، ص49؛ ج2، ص313؛ ج3، ص527، 567؛ ج3، ص101، 103.

[4]- شرح فصوص الحكم القيصري، ص16؛ شرح مقدِّمة القيصري، الآشتياني، ص147؛ تمهيد القواعد، ص106؛ مصباح الأنس، ص164.

[5]- مبادئ وأصول العرفان النظريّ، ص167-197.

[6]- النصوص، صدر الدين القونوي، ص10؛ تمهيد القواعد، ص304.

[7]- تمهيد القواعد، ص118.

[8]- تحرير تمهيد القواعد، جوادي الآملي، ص403-404.

علم المعاد
العدد السابع - 1445هـ - خريف 2023م

1--3 الأسماء الإلهيَّة:

الاسم في المصطلح العرفانيِّ عبارة عن تركيب الذات الإلهيَّة مع صفة من الصِّفات. طبعًا، الصفة مع نسبة خاصَّة هي "الإضافة الإشراقيَّة" الخاصَّة بالحقِّ تعالى. وتحصل النسب الإشراقيَّة بسبب التنزُّل من مقام الذَّات المطلق في المراتب والمواطن المتعيّنة والمقيّدة. وهذه النسب الإشراقيَّة معدومة بالذَّات وموجودة بالعرض؛ أي أنَّ النسب المذكورة موجودة بالحيثيَّة التقييديَّة الشأنيَّة للحقِّ تعالى. إنَّ ذات الحقِّ تعالى، وبوساطة تجلّيه الواسع (الفيض المنبسط) تمتلك الكمالات كافَّة على شكل اندماجيٍّ، وتظهر في مواطن كثيرة بجلوات متعدِّدة وهي موجودة وسارية في كافّة المراتب وفي كلِّ مقيّد[1]. في هذا الخصوص، يعتبر ابن عربي أنَّ الكثرة تتحقَّق في موطن الأسماء فقط، ويقصد بالأسماء النسب والصفات والشؤون العدميَّة[2]. كذلك يبينِّ العرفاء أنَّ موجودات العالم كافَّة، هي أسماء الحقِّ تتحقَّق بسبب الإضافات والنسب الإشراقيَّة، ولئن لم يلتفت العارف إلى هذه الإضافات والنسب، سيصل إلى الذَّات المطلقة الواحدة[3].

1--4 الحبُّ الإلهيُّ وظهور الكثرة في عالم الوجود:

يعتقد أصحاب المعرفة أنَّ الكثرات المشهودة في العالم تنشأ من ظهور وتجلّي نور الحقِّ في التعيُّنات، وأنَّ الذات الإلهيَّة خرجت من الخفاء بظهورها في الوجود المنبسط. حيال ذلك، يرى ابن عربي أنَّ سبب ظهور وتجلّي الحقِّ، إنَّما هي الحركة الحبيَّة الإيجاديَّة. والحركة الحبيَّة هي حركةٌ مظهرها إيجاد العالم[4]. ويُعتقد بأنَّ الرَّسول الأكرم (ص) قد نبَّه إلى هذه الحقيقة في الحديث القدسيّ: "كنت كنزًا مخفيًّا، فأحببت أن أُعرف فخلقتُ الخَلق". ولو لم يكن هذا الحبُّ موجودًا لم يظهر الخلق في الوجود الخارجيّ[5].

بيان ذلك؛ أنَّ عالم الحقِّ بذاته يستلزم العمل بالكمالات، وعلم الحقِّ بالكمالات الذاتيَّة والأسمائيَّة هو منشأ الحركة الحبيَّة لإيجادها، إلَّا أنَّه لا غير في ذاك المقام ولا قابل لقبول الفيض، ورحمة الحقِّ الذاتيَّة الطالبة للظهور قد سبقت الخفاء والبطون، وسبب إيجاد القابل هو وجود الرَّحمة الإلهيَّة الواسعة[6].

أمَّا الفرق بين الحركة الحبيَّة والحركة الفلسفيَّة فمقتضاه أنَّ الحركة الفلسفيّة هي خروج تدريجيٌّ

---

[1]- مبادئ وأصول العرفان النظريّ، ص220.
[2]- فصوص الحكم، ابن عربي، ص76.
[3]- مفاتيح الإعجاز في شرح گلشن راز، ص625؛ مبادئ وأصول العرفان النظريّ، ص222-229.
[4]- الفتوحات المكيّة، ص12، ص585 و564.
[5]- شرح فصوص الحكم، القيصري، ص1128.
[6]- مصباح الأنس، ص202، 323.

من القوَّة إلى الفعل[1]، بينما تطلق الحركة الحبيَّة على الحقِّ تعالى الفاقد لكلِّ استعداد وقوَّة. ولذا، فهي التفصيل الأسمائيُّ لإجمال الذَّات وظهور الحقِّ تعالى في صور الأسماء والصِّفات. وتشتمل على الأسماء والصفات الإلهيَّة كافَّة. فالذات الغيبيَّة ومقام الأحديَّة الإلهيَّة، وذاك العماء والعنقاء، كنز مخفيٌّ لا مجال للحركة فيها، إلَّا أنَّ لها حركة على أساس المحبَّة في ظهور الأسماء والصفات وإيجاد المخلوقات، وقد ظهرت هذه الحركة في جميع الموجودات على شأنٍ أعمَّ من المجرَّدات والماديَّات على أساس المحبَّة[2].

تبدأ الحركة الحبيَّة من الصقع الربوبيِّ، وهي تظهر في التعيُّن الثاني انطلاقًا من التعيُّن الأوّل والشعور بالكمال الأسمائيّ. كما تُطلق على تجلّي الذات الأوَّل ومنشأ التوجُّه للكمالات المندرجة في الذات، وطلب تفصيل هذه الكمالات، "التجلّي الذاتي الأحديّ" و"الكمال الأوّل". والشهود في التعيُّن الأوَّل، هو شهود المفصّل في المجمل[3]. وأمَّا الشهود في مرحلة الأحديَّة والكمالات الأسمائيَّة، فهو بشكل مفصَّل وظهور المفصَّل في المراتب المتعدِّدة والمتمايزة[4]. ومع اتصال ذات الحقِّ تعالى بالكمالات الأسمائيَّة نصل إلى الحركة الحبيَّة لإيجاد الكمالات الأسمائيَّة؛ لأنَّ سريان الحبِّ في الأسماء والحقائق، يجعلها مُحِبَّة للظهور وطالبة له. هذا الأمر هو الذي يوجب الكمالات الأسمائيَّة ووجود الحقائق في الخارج[5]. ومن هذا النحو، يوجدُ الحقُّ كمالاته الأسمائيَّة في الخارج، ويخلق العالم. وهكذا فإنَّ ظهور وتجلّي الله تعالى الذي يُعبَّر عنه بالجلاء، ليس سوى الاستجلاء الإلهيِّ والشهود في الغير، والذي يتحقَّق بوساطة الإنسان[6].

2 - علاقة كمال الجلاء والاستجلاء الإلهيِّ بالإنسان الكامل:

يجري الحديث في العرفان النظريِّ عن مصطلحَي الجلاء والاستجلاء، وهو على ارتباط وثيق بمبحث الإنسان الكامل وعلاقته بالله تعالى. وهذا ما سنوضحه في ما يأتي:

2--1 الجلاء والاستجلاء الإلهيّ:

تعود جذور الجلاء والاستجلاء إلى "جلو"، وهو مصدرٌ ثلاثيٌّ مجرَّد ومصدر باب الاستفعال. ويعتبر ابن الأثير أنَّ المقصود من الجلاء الكشف والإيضاح[7]. واعتبر الفراهيدي أنَّه بمعنى

[1]- الحكمة المتعالية، ج3، ص24.
[2]- مشارق الدراري، ص123-126؛ مصباح الأنس، ص201-202.
[3]- المصدر نفسه.
[4]- مصباح الأنس، ص321.
[5]- مشارق الدراري، ص125-127؛ مصباح الأنس، ص323.
[6]- نقد النصوص في شرح نقش الفصوص، ص85؛ النفحات الإلهيّة، ص49.
[7]- النهاية في غريب الحديث والأثر، ج1، ص290.

علوم المبدأ LLMOLMABDAA
العدد السابع - 1445هـ - خريف 2023م

الانكشاف والظهور[1]. والجلاء في مصطلح العرفاء يعني الظهور الشهود: "الجلاء" عبارة عن ظهور وتجلّي ذات الله تعالى لذاته وفي ذاته. وبعبارة أخرى، "الجلاء" عبارة عن مشاهدة الحقِّ ذاته من دون وساطة التعيُّنات الخلقيَّة. وتحصل هذه الحقيقة في التعيُّن الأوَّل والتعيُّن الثاني. لذلك؛ يطلق على كلِّ واحد من تعيُّنات الحقِّ -أي التعيُّنين الأوَّل والثَّاني- المرتبة الجلائيَّة أو التعيُّن الجلائيّ. أمَّا الاستجلاء فعبارة عن ظهور وتجلّي ذات الحقِّ لذاته وفي التعيُّنات الخلقيَّة[2]. ومن هنا، فالحقُّ تعالى يظهر بداية في الأغيار، ثمَّ يشاهد ذاته فيها[3].

2--2 علاقة الجلاء والاستجلاء الإلهيِّ بالإنسان:

يعتقد العرفاء أنَّ كمال الجلاء والاستجلاء الإلهيِّ يحصل بوساطة الإنسان فقط[4]؛ لأنَّ المقصود النهائيَّ للحقِّ تعالى من إيجاد العالم، مشاهدة كمالاته في مظهر ومرآة مغايرة، والإنسان هو الوحيد الواجد لجميع أسماء وصفات الحقِّ الكماليَّة، وبوساطته يظهر سرُّ الحقِّ للحقِّ وبه تُعرف أسراره. لهذا، سيذهب ابن عربي إلى القول أنَّ للحقِّ سبحانه من حيث أسمائه الحسنى والتي لا تبلغه الإحصاء أن يرى أعيانها. وإن شئت قلت: أن يرى عينه في كون جامع يحصر الأمر كلَّه؛ لكونه متَّصفًا بالوجود ويظهر به سرُّه إليه. فإنَّ رؤية نفسه بنفسه ما هي مثل رؤيته نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة"[5]. وعليه؛ فالإنسان هو التجليّ الأعظم الذي يُشاهِدُ فيه الحقُّ تعالى ذاته وكمالاته الأسمائيَّة. واستنادًا إلى الحديث: "أنَّ الله خلق آدم على صورته"[6] يرى العرفاء أنَّ صورة الحقِّ مختصَّة بالإنسان؛ لأنَّ الإنسان هو مظهر كلِّ الأسماء والصفات الإلهيَّة على نحو أحديَّة الجمع. والمقصود بصورة الحقِّ من وجهة نظر العرفاء، هي الجهة الفاعليَّة أو الأسماء الإلهيَّة. لذلك؛ فإنَّ الأسماء الإلهيَّة جميعها متحقّقة في الإنسان، ثمَّ إنَّ الأسماء الإلهيَّة كافَّة تتحقّق في مرتبة التعيُّن الثاني في اسم الله الجامع. إذًا، الإنسان هو الموجود الوحيد الذي يمكن أن يتحقَّق اسم الله الجامع فيه، وعليه، فهو تجلّي الاسم الإلهيِّ الأعظم.

يقول ابن عربي: "وكان الإنسان مختصرًا من الحضرة الإلهيَّة؛ ولذلك خصَّه بالصورة، فقال إنَّ الله خلق آدم على صورته"[7]. ولا وجود لأيِّ مرتبة ومقام آخر من مراتب الوجود سوى الإنسان الذي يشكِّل غاية التجلّي وكمال جلاء واستجلاء الحقِّ[8]. أمَّا السؤال الذي يطرح هنا هو التالي:

---

[1]- معجم مقاييس اللغة، ج1، ص468.
[2]- النفحات الإلهيّة، ص39.
[3]- مصباح الأنس، ص670-671؛ نقد النصوص في شرح نقش الفصوص، ص41.
[4]- شرح فصوص الحكم، مؤيّد الدين الجندي، ص157.
[5]- فصوص الحكم، ابن عربي، ص48-49.
[6]- بحار الأنوار، ج4، ص12.
[7]- نقش الفصوص، ابن عربي، ص3.
[8]- شرح فصوص الحكم، مؤيّد الدين الجندي، ص157.

لماذا اختُصَّ الإنسان من بين موجودات العالم بالجلاء والاستجلاء الإلهيّ؟ والجواب هو في الالتفات إلى بعض خصائص الإنسان في منظومة معرفة الإنسان عند ابن عربي. وتوضيح ذلك، أنَّ من أبرز وأهمِّ خصائص الإنسان جامعيَّته؛ فإن كان الوجود بأكمله مظهر وتجلّي الحقائق الإلهيَّة وبسط كمالات الحقِّ تعالى، فالإنسان هو الوحيد من بين هذه الموجودات الجامع لكافَّة حقائق العالم المتفرِّقة[1]. ثمَّ "إنَّ هذه الحقيقة الواجدة لجميع حقائق العالم هي فوق عالم الأكوان، وهو الوحيد الذي يمتلك قابليَّة الصعود إلى الصقع الربوبيّ. والذات الإلهيَّة تتجلَّى بأكمل أوجهها في الإنسان؛ ليكون الإنسان المظهر الكامل والوحيد لله تعالى"[2].

من جملة خصائص الإنسان الأخرى جامعيَّته للأضداد. فهو يمتلك صفات وخصائص لا يمتلكها أيٌّ من موجودات العالم. في هذا الخصوص يعتقد ابن عربي بأنَّ الإنسان جامع للأضداد من قبيل "الحادث والقديم"، "الحادث والأزلي"، "الدائم والأبدي" و"الظاهر والباطن"[3]. ومن جملة خصائص الإنسان الأخرى؛ الاعتدال في الجامعيَّة. ورغم أنَّ الإنسان جامع لجميع الحقائق الإلهيّة والكونيّة، فهو يمتلك علاقة متساوية مع كافّة هذه الحقائق، فهو الذي يؤدّي حقَّ الحقِّ وحقَّ الخلق[4]. وبعبارة أخرى، أنَّ الأمر الإلهيَّ يقتضي الصورة المعتدلة، فلا تغلب الوحدة الذاتيَّة ولا الكثرة الإمكانيَّة؛ ليمتلك قابليَّة مظهريَّة ذات الحقِّ في بعدي التفاصيل الأسمائيَّة وأحديَّة الذات الجمعيَّة. وتلك الصورة المعتدلة هي التي تُشكِّل نشأة الإنسان العنصريَّة. لذلك؛ كانت حقيقة الإنسان هي البرزخ بين الوجوب والإمكان، وهو الكون الجامع[5]. وهو آخر تنزُّلات الوجود والحاصر للأمر الإلهيّ[6].

يتَّضح ممَّا تقدَّم جواب السؤال المتقدِّم، انطلاقًا من رؤية أصحاب المعرفة، وعلى أساس الحديث الشريف: "فخلقت الخلق؛ لكي أُعرف"[7]، ذلك بأنَّ الحبّيَّ للحقِّ تعالى سارٍ في المظاهر الوجوديّة كافَّة، وكلُّ موجود مظهر لله تعالى بمقدار مرتبته وسعته الوجوديّة. والذي يخصّص الإرادة الإلهيَّة بعد التجلّي الذاتيِّ والأسمائيِّ بالتجلّي الثالث الجامع للجمع التفصيل، هو عين الإنسان الثابت صاحب بُعدَي البطون والظهور، وجهتَي الحقِّ والخلق.

معنى هذا أنَّ صورة باطن الإنسان برزخ جامع للوجوب والمكان؛ أي أنَّه واجدٌ لكلِّ التعيُّنات

---

[1]- التدبيرات الإلهيّة في إصلاح المملكة الإنسانيّة، ص108.
[2]- فصوص الحكم، ابن عربي، ص49-50.
[3]- فصوص الحكم، ابن عربي، ص56؛ شرح فصوص الحكم، القيصري، ص334، 405.
[4]- تمهيد القواعد، ص180.
[5]- شرح فصوص الحكم، مؤيّد الدين الجندي، ص72.
[6]- فصوص الحكم، ابن عربي، ص48.
[7]- بحار الأنوار، ج84، ص199.

علوم المبدأ LLMOLMABDAA
العدد السابع - 1445هـ - خريف 2023م

والحقائق الوجوبيَّة والإمكانيَّة. وأمَّا صورة الإنسان الظاهرة فهي تتعلَّق بالنشأة العنصريَّة[1]. وهي المرتبة الأخيرة من تنزُّلات الوجود. والخلاصة أنَّ الإنسان في كماله هو حاصرُ الأمر الإلهيِّ، والجامع لكافَّة قيود وتعيُّنات المراتب المتقدِّمة[2].

إذًا، خلق العالم والإنسان في النظام العرفانيِّ هو لأجل استجلاء الحقّ. ويمتاز عالم الوجود أو العالم الكبير بأنَّ كلَّ فرد أو كلَّ مرتبة من مراتبه، تمثِّل إسمًا أو أكثر من الأسماء الإلهيَّة. هنا يبيِّن ابن عربي أنَّ العالم مرآة غير مصقولة والإنسان هو الذي يجليها[3]. والإنسان هو التجليّ الإلهيُّ الأعظم وظهور الحقِّ في مرآة الإنسان، هو ظهور في مرآة تامَّة التجلّي؛ فيمكن القول بأنَّه لا يوجد ظهور وتجلٍّ للحقِّ تعالى أكمل منها[4]. ولقد استند إلى الحديث المشهور: "إنَّ الله خلق آدم على صورته"[5]؛ ليوضح أنَّ سرَّ مظهريَّة الإنسان التامَّة اشتماله على الصورة الإلهيَّة[6]. وفي هذا السياق، يشير الجامي في شرحه كلام ابن عربي إلى أنَّ الإنسان هو خلاصة الحضرة الإلهيَّة، وكلُّ ما في الذات الإلهيَّة من أسماء وصفات موجود في الإنسان على نحو أحديَّة الجمع[7].

2--3 علاقة الجلاء والاستجلاء الإلهيِّ بالإنسان الكامل:

ما المقصود من الإنسان في هذا المبحث؟

صحيح أنَّ الإنسان، وخلافًا لكلِّ المجالي، هو مظهر الحقِّ الكامل، فإنَّ هذه المرتبة موجودة عنده بالقوَّة. والإنسان الذي أوصل كلَّ استعداداته إلى الكمال وإلى فعاليَّاتها، إنمَّا هو الإنسان الكامل[8]. وكلُّ ما يتحقَّق سوى الإنسان الكامل، هي محلُّ تجليّ الحقِّ التامِّ[9]، وهي مماثلة للمرتبة الإلهيّة[10]. ومظهر الاسم الإلهيّ الجامع والجامع لكافّة المراتب الإلهيّة والكونيّة من عالم العقول والمثال والمادَّة[11]. الفرق الوحيد بين هذه المرتبة والمرتبة الإلهيَّة باعتبار ربوبيَّة الحقِّ ومربوبيَّة الإنسان وظاهريَّة ومظهريَّة الإنسان[12]. أمَّا الحقيقة المحمَّديَّة في رأي أصحاب المعرفة

---

[1]- مشارق الدراري، ص135-136؛ شرح فصوص الحكم، مؤيّد الدين الجندي، ص151، 158.
[2]- مصباح الأنس، ص624-625.
[3]- فصوص الحكم، ابن عربي، ص48-49.
[4]- الإنسان الكامل أو القطب الغوث الفرد، ص26.
[5]- الكافي، ج1، ص134.
[6]- الفتوحات المكيّة، ج1، ص216.
[7]- نقد النصوص في شرح نقش الفصوص، ص93.
[8]- تمهيد القواعد، ص244.
[9]- النصوص القونوي، ص42.
[10]- شرح فصوص الحكم، مؤيّد الدين الجندي، ص161.
[11]- المصدر نفسه، ص117، 63.
[12]- شرح فصوص الحكم، القيصري، ص24.

هي المصداق الأتمُّ لحضرة الحقِّ والمجلى الأكمل الذي يظهر فيه الحقّ[1]. وهي عين مقام مظهريَّة اسم الله الجامع في التعيُّن الثاني. والحقيقة المحمَّديَّة هي المرتبة التي اختصَّ بها أوّلاً رسول الله (ص). وبعد إثبات مقام التعيُّن الأوَّل، يكون الصادر الأوَّل ذاك المقام الوجوديَّ الذي تحقَّق قبل ظهور الأنبياء الآخرين في قوس النزول. لذلك؛ فالأنبياء وعلى رأسهم رسول الله (ص) يتَّحدون في تلك المرتبة في سيرهم التكامليِّ وفي قوس الصعود. وهذا المقام الوجوديُّ هو ربُّ أرباب العوالم كافَّة. وبعبارة أخرى، يتحقَّق هذا المقام في قوس النزول قبل أيِّ فرد آخر، وفي قوس الصعود يتصل به بعض الأفراد كالرسول (ص) وأهل البيت (ع)[2].

إلى ذلك، استند ابن عربي إلى حديث "أوّل ما خلق الله نوري"، ليبيِّن أنَّ الحقيقة المحمَّديَّة هي النور المحمَّديُّ، وهو نور قديم متقدِّم على المخلوقات كافَّة، والذي تجلَّى بشكل متوالٍ في وجود الأنبياء كافَّة، حتّى وصل إلى التجلّي الأخير؛ أي رسول الله محمَّد (ص). ولقد تجلَّت هذه الحقيقة في المراتب والدرجات المتنوِّعة في كسوة الأنبياء والأولياء والأقطاب، ثمَّ اتَّخذت صورتها الناسوتيَّة في آخر مرتبة، فحملت عنوان خاتم الأنبياء[3]. فكلُّ نبيٍّ من الأنبياء هو مظهر اسم من أسماء الحقِّ العامَّة، وكلُّ هذه الأسماء داخلة في الاسم الجامع ومُظهِرة له[4]. وعلى هذا الأساس، فإنَّ جميع مراتب ومقامات النبوَّة والرسالة والولاية تعود إلى الحقيقة المحمَّديَّة في الظاهر والباطن؛ هو قطب العالم، ومدار ومركز عالم الوجود وحقيقة واسعة إطلاقيَّة، وهو واحد باعتبار الذات ومتعدِّد باعتبار ظهور الكثرات. هذه المرتبة محيطة بجميع مراتب الأنبياء؛ لأنَّ كافَّة مراتب الأنبياء متفرِّعة من هذه المرتبة المحمَّديَّة[5].

تنبغي الإشارة إلى أنَّ الوجود الخاتم هو مرتبة قطب الأقطاب، ومبدأ إفاضة الفيوضات الإلهيَّة. أمَّا سبب إطلاق ابن عربي مصطلح "حكمة فرديَّة" على "الفصِّ المحمَّديِّ" فيعود إلى تصريحه التالي في "فصوص الحكم": "إنَّما كان حكمته فرديَّة؛ لأنَّه أكمل موجود في هذا النوع الإنسانيِّ؛ ولهذا بُدئ به الأمر، وخُتِمَ فكان نبيًّا وآدم بين الماء والطين، ثمَّ كان بنشأته العنصريَّة خاتم النبيّين"[6]. والحديث النبويُّ: "كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين" هو كلام عن الصادر الأوَّل على لسان النبيّ. فالكلام عن المقام الوجوديِّ على لسان من اتَّحد به. إنَّ حضرة محمَّد (ص) هو التعيُّن الأوَّل وظهور ذات الأحديَّة الإلهيَّة، ولا وجود لأيِّ تعيُّن في مرتبة أعلى أو مساوية له. لذلك؛ كان هذا

---

[1]- فصوص الحكم، ص37.
[2]- شرح فصوص الحكم، القيصري، ص117-127.
[3]- الفتوحات المكيّة، ج1، ص151.
[4]- شرح فصوص الحكم، الخوارزمي، ص775.
[5]- شرح فصوص الحكم، الجندي، ص708؛ نقد النصوص في شرح نقش الفصوص، ص37-38.
[6]- فصوص الحكم، ص214.

التعيُّن مشتملاً على التعيُّنات كافَّة، وهو لا شكَّ واحد فرد، ولا يتقدَّم عليه سوى ذات الأحديَّة المطلقة.

3 - علاقة الجلاء والاستجلاء الإلهيّ بالإنسان الكامل في مدرسة الوحي:

تحدَّثت الآيات والروايات حول مسألتَي الجلاء والاستجلاء الإلهيِّ، وعمل المفسِّرون على توضيح بعض زواياهما[1].

3--1 الجلاء والاستجلاء الإلهيُّ في مدرسة الوحي:

استخدمت مادَّة "ج ل و" في الآيات الشريفة في خمسة تراكيب[2]، وتكرَّر استخدام هذه المادَّة أيضًا في الروايات[3]. ومن بين جميع الروايات يمكن الإشارة إلى رواية: "إذا تجلىَّ الله لشيء خشع له كلُّ شيء"، والتي جاء ذكرها في المصادر العرفانيَّة[4].

طبق رواية "كنت كنزًا مخفيًّا فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق؛ لكي أعرف"[5]، فإنَّ فلسفة إيجاد العالم تتعيَّن في التجلّي الناشئ من حبِّ الظهور والإظهار الإلهيِّ. وظهور الكثرة في عالم الوجود هو حصيلة شوق الحقِّ العظيم للظهور والمعرفة. يقول الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[6]. وتحدَّثت الروايات عن العبادة بأنّها المعرفة. فحبُّ الحقِّ تعالى لذاته وصورته؛ أي الأسماء والصفات وما يتبعها؛ أي الأعيان الثابتة، يؤدّي إلى إيجاد أرضيَّة تجلّي الحقِّ الفعليِّ في المظاهر الوجوديَّة طبق رواية "لولاك لما خلقت الأفلاك"[7].

3--2 علاقة الجلاء والاستجلاء الإلهيُّ؛ الإنسان الكامل في مدرسة الوحي:

انطلاقًا من الصفات التي ذكرتها الآيات والروايات للإنسان، ليس لله تعالى ظهورٌ أكمل منه في حقائق العالم الأعلى والأسفل. ويشير إلى هذه الحقيقة ما جاء في الرواية: "خلق الله آدم على صورته"[8]. ولم تكتفِ الروايات بالحديث عن الصورة الإلهيَّة للإنسان؛ بل ثمَّة ما يشير إلى المضمون والمحتوى. جاء في الحديث الشريف عن الإمام الباقر (ع): "نحن وجه الله"[9]. كما

---

[1]- الزمخشري، ج2، ص153؛ الطبرسي، ج4، ص730.
[2]- سورة الأعراف، الآية 143؛ سورة الأعراف، الآية 3؛ سورة الحشر، الآية 3؛ سورة الشمس، الآية 2؛ سورة الليل، الآية 2.
[3]- نهج البلاغة، خ108؛ الكافي، ج28، ص387؛ المحاسن، ج2، ص324.
[4]- الفتوحات المكية، ج7، ص312؛ نقد النصوص في شرح نقش الفصوص، ص115.
[5]- بحار الأنوار، ج84، ص199.
[6]- سورة الذاريات، الآية 56.
[7]- بحار الأنوار، ج16، ص406.
[8]- بحار الأنوار، ج1، ص134.
[9]- الكافي، ج1، ص145.

تشير الآية الشريفة: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾[1] إلى ما يمتاز به الإنسان من وحدة في مقام تلقّي الأسماء الإلهيَّة. والإنسان هو الموجود الوحيد الذي عُجن بأيدي الجمال والجلال الإلهيّ[2]. والإنسان هو الوحيد المستعدُّ لتحمُّل الأمانة الإلهيَّة[3]. هو مثل الحقِّ الأعلى والآية الإلهيَّة الكبرى ومرآة تجلّي أسماء وصفات الحقِّ تعالى. وإذا شاء الله تعالى مشاهدة عصارة الخلق كطيِّ السجلّ[4] على صورة جمعيَّة، نظر إلى الإنسان.

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الدافع للحديث عن صورة الإنسان الإلهيَّة، مردُّه إلى جامعيَّته في قوسَيْ الصعود والنزول[5]. فكلُّ القوابل وطبق قاعدة نظام العالم العامَّة، مظهر اسم خاصٍّ ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾[6]، إلاَّ أنَّ الإنسان هو الوحيد الذي خلق بأيدي الجمال والجلال الإلهيِّ، وهو مظهر اسم الله[7]. لذا فإنَّ جامعيَّة الإنسان، التي تعني اشتماله على كلِّ الأسماء والصفات الإلهيَّة، هي واحدة من أبرز الخصائص المستفادة من الآية الشريفة: ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾[8]. وخلقُ الإنسان بأيدي الله يحكي عن تشريف وتكريم خاصٍّ له. وفي هذا الصدد، يشير الفيلسوف الإسلاميُّ العلاَّمة الطباطبائي إلى أنَّ خلق الإنسان بأيدي الله، دلالة على شرف الإنسان واهتمام الله تعالى بخلقه[9]. فهو مائدة إلهيَّة اجتمعت فيها الطبيعة والملكوت والجبروت واللاَّهوت. وأشارت الآيات إلى خلقه في مقام توبيخ الشيطان: ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾.

ومن جملة خصائص الإنسان في النصوص الدينيَّة، تعليم الأسماء الإلهيَّة. وهنا توضح الآية الشريفة: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾[10]، الاستعداد والقابليَّة العالية عنده لإدراك حقائق العالم[11]. والعلم الذي أُعطي لآدم هو حقيقة العلم بالأسماء، والتي كان الوحيد الجدير بتعلُّمها. وإذا كان الإنسان يستحقُّ الخلافة الإلهيَّة ويليق بها؛ فلأنه يمتلك العلم بحقيقة الأسماء، وليس لأنّه كان جاهلاً بها[12]. والعلم بالأسماء الإلهيَّة الحسنى أساس كمال الإنسان وسُّر جامعيَّته والمقدِّمة لامتلاكه القيم الإنسانيَّة المتعالية؛ أي مقام الخلافة الإلهيَّة. ومن جملة خصائصه الأخرى قبول

---

[1]- سورة البقرة، الآية 31.
[2]- «خلقت بيدي»، سورة ص، الآية 75.
[3]- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ﴾ سورة الأحزاب، الآية 72.
[4]- ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ سورة الأنبياء، الآية 103.
[5]- تحرير القواعد، جوادي الآملي، ص565.
[6]- سورة الرعد، الآية 8.
[7]- مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين، ص51.
[8]- سورة ص، الآية 75.
[9]- الميزان في تفسير القرآن، ج17، ص225.
[10]- سورة البقرة، الآية 31.
[11]- تفسير الصافي، ج1، ص111-112.
[12]- سورة البقرة، الآية 31.

الأمانة الإلهيَّة التي تحكي عن الاستعدادات الخاصَّة به، وهي الأمانة التي عجزت السماوات والأرض عن حملها[1].

انطلاقًا ممَّا تقدَّم، يُظهر الإنسان الكمالات الإلهيَّة ويحمل أسرارًا تعجز عنها المخلوقات الأخرى. وقد جاء في الأخبار الإلهيَّة على لسان الرَّسول (ص): "لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن"[2]. وعلى أساس هذا الحديث، فإنَّ قلب الإنسان المؤمن التقيِّ، مكان جلوس الحقِّ والظهور بصورته.

يدلُّ ظاهر الآيات والروايات على حقيقة مفادها أنَّ من جملة كمالات مقامات الإنسان الخاصَّة، أنَّ ذات الحقِّ جعله مرآة كمال جلائه واستجلائه التامَّة، وإذا كان المراد والأساس من إيجاد العالم كمال الاستجلاء والظهور في الغير، فلن يكون المقصود النهائيُّ من خلق العالم سوى الإنسان، ومن دون حضوره في العالم لن تصل الذات الإلهيَّة إلى مرادها الحقيقيِّ من الخلق. وقد جاء في العديد من الأحاديث الخطاب الموجَّه للمعصومين: "لولاك لما خلقت الأفلاك"[3]. كما جاء في حديث عن الإمام جعفر الصادق (ع): "أنَّ محمَّدًا وعليًّا صلوات الله عليهما كانا نورًا بين يدي الله جلَّ جلاله قبل خلق الخلق بألفي عام، وأنَّ الملائكة لمَّا رأت ذلك النور رأت له أصلاً وقد انشعب من شعاع لامع، فقالت: إلهنا وسيّدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليهم، هذا نور من نوري أصله نبوَّة وفرعه إمامة، فأمَّا النبوَّة فلمحمَّد عبدي ورسولي، وأمَّا الإمامة فلعليٍّ حجَّتي ووليّي، ولولاهما ما خلقت خلقي"[4]. وفي رواية أخرى، فإنَّ خلق آدم(ع) تابع لوجود رسول الإسلام "ولولا محمَّد ما خلقتك يا آدم"[5].

خلاصة الكلام، أنَّ كامل عالم الوجود والكثرة ليس سوى مظاهر الحقِّ، وأنَّ كلَّ موجود يكون مظهرًا بما يتناسب مع استعداده الخاصِّ ويحمل اسمًا من أسماء الجمال الإلهيِّ. والإنسان الكامل هو مرآة الحقِّ التامَّة ومظهر ومجلى الاسم الأعظم.

3--3 وثاقة كمال الجلاء والاستجلاء الإلهيِّ بالإنسان الكامل:

ثمّة علاقة وثيقة بين كمال الجلاء والاستجلاء الإلهيِّ بالإنسان في مدرسة الوحي، ولكن الذي اختصَّ واقعًا بصورة الحقِّ ومظهر اسم الله الجامع هو الإنسان الكامل فقط. وعليه؛ فإنَّ كمال الجلاء والاستجلاء الإلهيِّ لا يتحقَّق من دونه. لذلك؛ يقول الرَّسول (ص) من منطلق جامعيَّته

[1]- سورة الأحزاب، الآية 72.
[2]- بحار الأنوار، ج55، ص39.
[3]- بحار الأنوار، ج16، ص406.
[4]- بحار الأنوار، ج15، ص12.
[5]- المصدر نفسه.

الوجوديَّة: "خصصت بفاتحة الكتاب وخواتيم البقرة وأعطيت جوامع الكلم"[1]، ويقول أيضًا: "من رآني فقد رأى الله"[2]. فالله أجلُّ من أن يعرفه أحد بذاته وصفاته.

لذلك؛ عندما خلق الحقُّ الإنسان جعل أسماءه وصفاته مَثَلًا له: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾[3]، والمقصود من "المثَل" إنزال شيء مجهول من مرتبة -لا يمكن الوصول والإحاطة بها- إلى مرتبة يمكن تعقُّله بها. يقول رسول الإسلام (ص): "نحن كلمة التقوى وسبيل الهدى والمثل الأعلى"[4]؛ لأنَّ حقيقة الخاتم وورثته، أنَّهم المثل الأعلى ومعرض جميع الأسماء ومظهر صفات الله الجماليَّة والجلاليَّة.

في وصف خاتم الأنبياء، يقول الإمام علي(ع) في "نهج البلاغة": "قلبه خزانة الحيِّ الذي لا يموت"[5]. فقلب الرَّسول (ص) خزانة الأسرار والعلوم الإلهيَّة والجامع للحقائق، فهو كالمرآة التي يظهر فيها جميع المراتب والتجلّيات من العرش إلى الفرش. وقد أكَّدت الروايات المأثورة أنَّ هذه المرتبة هي لوارثي الرَّسول الحقيقيّين.

إلى ذلك، جاء في رواية عن صفوان الجمال: "دخلت على أبي عبد الله (ع) وهو يقرأ هذه الآية: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[6]، ثمّ التفت إليَّ، فقال: يا صفوان، إنَّ الله تعالى ألهم آدم أن يرمي بطرفه نحو العرش، فإذا هو بخمسة أشباح من نور يسبِّحون الله ويقدِّسونه. فقال آدم: يا ربّ، مَن هؤلاء؟ قال: يا آدم، صفوتي من خلقي لولاهم ما خلقت الجنَّة ولا النار، خلقت الجنَّة لهم"[7].

إنَّ "حقيقة الرَّسول النوريَّة" هي الفيض الأوّل من الفيض الإلهيِّ المقدَّس، وأوَّل وأكمل ظهور وتجلّي من تجلّيات الحقِّ تعالى. وهذا ما يشير إليه الرَّسول (ص) بقوله: "أوّل ما خلق الله روحي"[8]. ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[9]، ومظهريَّة وجود رسول الله المقدَّس للاسم الإلهيِّ الأعظم، جعله أتمَّ مظاهر الحقِّ والتجلّي الأعظم وسراج الحقِّ المنير. وبعبارة أخرى، إنّ لله تعالى أسماء عديدة: ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[10]، ولكلِّ اسم مظهر. والأسماء الجزئيَّة تقع تحت ظلِّ الاسم الأعظم. ومظهر اسم الله الجامع الذي هو قطب عالم

---

[1]- مشارق أنوار اليقين، ص51.
[2]- بحار الأنوار، ج58، ص235.
[3]- سورة النحل، الآية 60.
[4]- بحار الأنوار، ج26، ص244.
[5]- مشارق أنوار اليقين، ص45.
[6]- سورة البقرة، الآية 37.
[7]- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، ج3، ص6.
[8]- بحار الأنوار، ج45، ص309.
[9]- سورة الأحزاب، الآية 45.
[10]- سورة الإسراء، الآية 110.

الإمكان، مجلى فيض وجود الحقِّ وطريقة تجلّيه. وهكذا، فإنَّ حقيقة الاسم الأعظم لا تتجلَّى بشكل كامل سوى للذات الإلهيَّة، ولمن ارتضاه الحقُّ: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ**﴾[1].

وعليه؛ إذا كان كلُّ نبيٍّ من أنبياء الله العظام مظهر اسم عام من الأسماء الإلهيَّة، فإنَّ الأسماء كافَّة واقعة تحت ظلِّ اسم الله. ومظهر اسم الله هو خاتم الرُّسل (ص). أمَّا مرتبته الوجوديَّة وموقعه من باقي الأنبياء والأولياء في نظام الوجود، فهي مرتبطة قطب الأقطاب، وهذا ما يشير إليه الرَّسول(ص) بقوله: "آدم ومن دونه تحت لوائي"[2]. فقد جاء في كتاب الكافي: "لن يبعث الله رسولاً إلاَّ بنبوَّة محمَّد ووصيِّه عليّ"[3]. فإذا كان آدم (ع) بحسب النشأة العنصريَّة، وكذلك باقي الأنبياء متقدِّمون على الرَّسول الخاتم (ص)، إلاَّ أنَّهم أبناؤه وحسنة من حسناته، بحسب المعنى والباطن، وهم مجالي ظهوره. ويؤيِّد هذه الحقيقة الحديث: "كنت نبيًّا وآدم بين الطين والماء"[4].

الخلاصة:

يتَّضح ممَّا تقدَّم الأمور الآتية:

المقصود من الجلاء في المصطلح العرفانيِّ الظهور، ومن الاستجلاء الشهود. الجلاء عبارة عن ظهور وتجلّي ذات الله تعالى لذاته وفي ذاته. ويتحقَّق عندما ينظر الحقُّ إلى ذاته من دون الاستعانة بالتعيُّنات الخلقيَّة. وتحصل هذه الحقيقة في التعيُّنين الأول والثاني. لذلك؛ يطلق على كلِّ تعيُّن حقّيٍّ -أي التعيُّن الأول والثاني- المرتبة أو التعيُّن الجلائيّ. أمَّا الاستجلاء، فهو ظهور وتجلّي ذات الحقِّ لذاته وفي التعيُّنات الخلقيَّة.

يتحقَّق كمال الجلاء والاستجلاء الإلهيِّ عند أصحاب المعرفة بوساطة الإنسان. والمقصود النهائيُّ للحقِّ تعالى من إيجاد العالم، مشاهدة كمالاته في مظهر ومرآة مغايرة. وهنا، كان الإنسان الوحيد الواجد لجميع أسماء وصفات الحقِّ الكماليَّة وبوساطته يظهر سرُّ الحقِّ للحقّ.

إنَّ الحديث عن الجلاء والاستجلاء الإلهيِّ في المصادر العرفانيَّة متأثِّر بالوحي. ففي بعض الروايات، إنّ إيجاد وخلق العالم هو التجلّي الناشئ من حبِّ الظهور والإظهار الإلهيّ.

وانطلاقًا من الصفات التي ذكرتها الآيات والروايات للإنسان، ليس لله تعالى ظهور وتجلٍّ أكمل من الإنسان.

---

[1]- سورة الجنّ، الآيتان 26-27.
[2]- بحار الأنوار، ج39، ص213.
[3]- الكافي، ج1، ص437.
[4]- بحار الأنوار، ج16، ص402.

لائحة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. نهج البلاغة.
3. ابن الأثير الجزري، مبارک بن محمد (1367ه.ش/ 1988م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، محقق و مصحح: محمود محمد طناحي وزاوى، طاهر احمد، قمّ، اسماعيليان، ط4.
4. اين تركه، صائن الدين علي (1360ه.ش/ 1981م)، تمهيد القواعد، محقق و مصحح: السيد جلال الدين الآشتياني، طهران: انتشارات وزارة الثقافة والتعليم العالي، ط1.
5. ابن حيون، نعمان بن محمد (1409ق)، شرح الأخبار في فضائل الأئمَّة الأطهار (ع)، قم: جامعة المدرسين في حوزة قمّ العلميَّة.
6. ابن عربى، محيي الدين (1370ه.ش/ 1991م)، نقش الفصوص (نقد النصوص)، محقق و مصحح: السيد جلال الدين الآشتياني، طهران، مؤسَّسة الطباعة والنشر في وزارة الإرشاد، ط2.
7. ابن عربى، محيي الدين (1946م)، فصوص الحكم، القاهره، دار إحياء الكتب العربيَّة، ط1.
8. ابن عربى، محيي الدين (1994م)، الفتوحات المكيَّة، تصحيح و تحقيق: عثمان يحيى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2.
9. ابن عربى، محيي الدين (لا تا) الفتوحات المكيَّة، بيروت: دار الصادر، ط1.
10. ابن عربى، محيي الدين (1421 ق)، مجموعة رسائل ابن عربي، بيروت، دار المحجة البيضاء، ط1.
11. ابن عربى، محيي الدين (1336ه.ش/ 1957م)، التدبيرات الإلهيَّة في إصلاح المملكة الإنسانيَّة، ليد، مطبعة بريل، ط1.
12. الآشتياني، السيد جلال الدين (1370ه.ش/ 1991م)، شرح مقدِّمة القيصري، طهران: انتشارات امير كبير، ط3.
13. الآملي، السيد حيدر (1368ه.ش/ 1989م)، نقد النقود في معرفة الوجود (جامع الأسرار)، طهران: انتشارات وزارة الثقافة والتعليم العالي العلميَّة والثقافيَّة، ط1.
14. البرقي، الحمد بن محمد بن خالد (1371ه.ش/1992م)، المحاسن، تحقيق وتصحيح محدث، جلال الدين، قم، دار الكتب الإسلاميَّة، ط2.
15. جامى، عبدالرحمن (1370ه.ش/1991م)، نقد النصوص في شرح نقش الفصوص، طهران: مؤسَّسة الطباعة والنشر في وزارة الإرشاد، ط2.
16. الجندي، مؤيد الدين (١۴٢٣ق)، شرح فصوص الحكم، قم: بوستان كتاب، ط2.
17. جوادي الآملى، عبدالله (1387ه.ش/ 2008م)، تحرير تمهيد القواعد، قمّ، إسراء، ط1.
18. الحافظ البرسي، رجب بن محمد (1322ق)، مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين، بيروت، انتشارات الأعلمي.
19. الخوارزمي، تاج الدين حسين بن حسين (لا تا)، شرح فصوص الحكم، طهران: انتشارات مولى، ط2.
20. صدرالدين الشيرازي، محمدين ابراهيم (1981م)، الحكمة المتعالية في الأسفار العقليَّة الأربعة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3.

21. صدرالدين الشيرازي، محمدين ابراهيم (1383ه.ش/ 2004م)، شرح أصول الكافي، طهران: انتشارات مؤسَّسة الدراسات والأبحاث الثقافيَّة.

22. صدرالدين الشيرازي، محمدين ابراهيم (1354ه.ش/1975م)، المبدأ والمعاد، طهران، مؤسَّسة الحكمة والفلسفة الإيرانيَّة، ط1.

23. صدرالدين الشيرازي، محمدين ابراهيم (1360ه.ش/ 1981م)، أسرار الآيات، تحقيق خواجوى، طهران، مؤسَّسة الحكمة والفلسفة الإسلاميَّة، ط1.

24. الصدوق، محمد بن علي (1398ه.ق)، التوحيد، تحقيق وتصحيح هاشم الحسيني، قمّ، جامعة المدرسين، ط1.

25. الصدوق، محمد بن علي (1378ه.ش/ 1999م)، عيون أخبار الرضا (ع)، طهران: انتشارات جهان.

26. الطباطبائي، السيد محمد حسين (1417ق)، الميزان في تفسير القرآن، قمّ، مكتب الانتشارات الاسلاميَّة التابعة لجامعة المدرسين في حوزة قمّ العلميَّة، ط5.

27. الفراهيدي، أحمد بن فارس (1404ق)، معجم مقاييس اللغة، قمّ، انتشارات مكتب الإعلام الإسلامي.

28. الفرغاني، سعد الدين (1379ه.ش/ 2000م)، مشارق الدراري: شرح تائية ابن الفارض، قمّ، مركز انتشارات مكتب الإعلام الإسلامي، ط2.

29. الفيض الكاشاني، الملَّامحسن (1415ق) تفسير الصافى، طهران، انتشارات الصدر.

30. الفناري، شمس الدين محمد حمزه (1374)، مصباح الأنس، طهران، انتشارات مولى، ط1.

31. القمّي، الشيخ عباس (1423ق)، مفاتيح الجنان، بيروت، انتشارات مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات.

32. القونوي، صدر الدين (لا تا)، النفحات الإلهيَّة، انتشارات مولى.

33. القونوي، صدر الدين (1371ه.ش/ 1992م)، النصوص، تحقيق وتصحيح السيد جلال الدين الآشتياني، طهران، مركز النشر الجامعي، ط1.

34. القيصري، داود (1375ه.ش/ 1996م)، شرح فصوص الحكم، تحقيق وتصحيح السيد جلال الدين الآشتياني، طهران، شركة الانتشارات العلميَّة والثقافيَّة، ط1.

35. الكاشاني، عبد الرزاق (1426ق)، إصطلاحات الصوفيَّة، تحقيق وتصحيح عاصم ابراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ط1.

36. الكاشاني، عبد الرزاق (1370ه.ش/ 1991م)، شرح فصوص الحكم، قمّ، انتشارات بيدار، ط4.

37. الكليني، محمد بن يعقوب (1407ق)، الكافي، طهران، دار الكتب الإسلاميَّة، ط4.

38. اللاهيجي، محمد أسيري (1312)، مفاتيح الاعجاز في شرح گلشن راز، بومبي.

39. المجلسي، محمد باقر (1362)، بحار الانوار، طهران، دار الكتب الاسلامية، ط4.

40. محمود الغراب، محمود (1410ق)، الإنسان الكامل أو القطب الغوث الفرد، من كلام الشيخ محيي الدين ابن عربي، ط2.

41. يزدان پناه، السيد يدالله (1389ه.ش/ 2010م)، مباني واصول عرفان نظرى [مبادىء وأصول العرفان النظريّ]، قمّ، مؤسَّسة الإمام الخميني التعليميَّة والبحثيَّة، ط2.